تزاوج النسبي بالمُطلق

الصهيونية المسيحية نموذجًا

القس.بيتر وديع

مقدّمة

مرَّ الفكر الإنساني الفلسفي بمراحل عديدة ومتنوعة، فلقد صاغ الإنسان العديد مِن الأفكار والفلسفات، مُنذُ أن قامت حضارات ما بين النهرين والحضارة المصرية والقديمة، ثمّ الحضارة اليونانية والرومانية، وبعد ذلك نشأت المسيحية والإسلام، مرورًا بعصر النهضة والإصلاح والتنوير، حتى وصلنا إلى الحداثة وما بعد الحداثة. وعلى مَر كُل العصور كان هُناك دائمًا جدل بين علاقة النسبي بالمُطلق. ولقد اختلف المُفكرون والفلاسفة في تعريف ما هو المُطلق وما هو النسبي، واختلفوا أيضًا على طبيعة كُلٍّ منهما، وحدود العلاقة بينهما. ولكن الأكيد مِن دراسة تاريخ الفلسفة أنه في كُل الحقب وعلى مدار التاريخ الفكري للإنسانية، كان دائمًا يوجد مُطلق ويوجد نسبي أيضًا، ويوجد تفاعل وعلاقة بين بعضهم البعض.[1]

وأما بالنسبة للمؤمنين بالله، فالمُطلق معروف وواضح وضوح الشمس، فهو شخص الله الحي -جلَّ جلاله- وأحكامه ووصاياه. وذلك لأن المُطلق في أبسط تعريفاته هو اللامحدود وغير المرتبط بالزمان والمكان، وهذا لا ينطبق إلا على الله -سبحانه تعالى- وما جاء في أحكامه وشرائعه. والنسبي بالنسبة لنا معروف أيضًا فهو كُل ما هو محدود ومرتبط بالزمان والمكان. والعلاقة بين النسبي والمُطلق هي علاقة التطّلع والشوق ورغبة في الاتحاد دون اختلاط أو تزاوج، كما أكدت جميع الأديان.

ولكن تأتي المُشكلة عندما يخلط أتباعُ الديانات النسبيَّ الدنيويَّ بالمُطلقِ المُقدّس، ويسعون لتزاوج المُطلق الثابت وغير المحدود بالنسبي المُتغير والمحدود، وهذا ما رأيناه في محاولات خلط الدين بالسياسة، وربط الهوية الدينية بالقومية العرقية، ومساواة التفسير الاجتهادي بالنص المقدّس.

لِذا سيحاول الباحث في هذه الورقة البحثية أن يُبرز خطورة مثل هذه العلاقة مِن تزاوج مغلوط بين النسبي والمُطلق، مُتخذًا "الصهيونية المسيحية" نموذجًا، وسيجتهد الباحث في توضيح الموقف المُتزن

[1] أحمد سعد زايد، **محاضرة جدل العلاقة بين المطلق والنسبي**، تمّ الاطلاع عليه يوم 27 أكتوبر 2020م، مُتاح على:
http://youtu.be/-owHQTFaNEw

للإنجيليين العرب، الذين يرفضون هذه المزاعم المغلوطة فلسفيًّا ودينيًّا وعمليًّا، والتي شوهت الفكر والحضارة الإنسانية، وأدخلت المسيحية في الحروب والصراعات، وبرّرت القتل وسفك الدماء باسم الدين، وسببت الحرج للمسيحين بشكل عام، والمسيحيين العرب بشكل خاص.

أولًا: الصهيونية واليهودية

بداية الصهيونية

يغلب على ظن الكثيرين أن الصهيونية حركة دينية قديمة، وأنها مرتبطة بما ورد من الوعود لإبراهيم. وفي الواقع أنها ليست بالحركة الدينية، وليست بالحركة القديمة في بني إسرائيل أنفسهم، ولكنها حركة سياسية تابعة لقيام الدولة وسقوطها في بيت داود. فغاية ما بلغه إبراهيم تحت قمة صهيون أنه أشترى قبرًا هناك بالمال كما جاء في الإصحاح الثالث والعشرين من سفر التكوين في العهد القديم.[2]

ومضت القرون بعد إبراهيم إلى عهد موسى، ثمّ مضت القرون بعد موسى، ثم نجد في سفر القضاة أن بيت المقدس كانت في أيدي اليبوسيين، حتى تولى أورشليمَ داودُ، وخلفه سليمان فبنى الهيكل المشهور، ثم جاء الأسر البابلي وأصبح الحنين إلى صهيون رمزًا للحنين إلى عودة المملكة، وتحولت الوعود الإلهية في كتبهم تحولًا جديدًا مع مصالح سياسية.[3]

ولما جاء المسيح أنكر كهنة الهيكل رسالته، وآمن به بعض اليهود، وبعض أبناء الأمم المقيمين في فلسطين واحتج القوم عليه بوعد إبراهيم، فقال لهم: إن أبناء إبراهيم بالروح هو المدعوون للخلاص، فكل من آمن بدينه فهو من أبنائه، ولا فرق بين اليهودي واليوناني، لأن ربًّا واحدًا للجميع، كما جاء في رسالة رومية.[4]

عودة الدولة اليهودية

وبعد السيد المسيح في عام 70م جاء القائد الروماني تيطس، وقام بحصار وتدمير أورشليم تدميرًا كاملًا، ولم يترك حجرًا على حجر في هيكل الملك السليمان كما تنبأ السيد المسيح مِن قبل، وتشتت اليهود في كُل بقاع الأرض وكان لسان حالهم كما عبّر عنهم تيودور هيرتزل الآتي:

---

[2] عباس محمود العقاد، **الصهيونية العالمية** (الجيزة: دار نهضة مصر، 2017)، 13-34.
[3] **المرجع السابق**.
[4] **المرجع السابق**.

لقد حاولنا بصدق في كل مكان أن ندمج أنفسنا مع الحياة الاجتماعية في المجتمعات التي نتواجد بها، وأن نحافظ على معتقدات آبائنا، ولكن لا يُسمح لنا بذلك. ونحاول بلا طائل أن نكون وطنيين مخلصين، بالرغم من أن درجة إخلاصنا تصل في بعض الأحيان إلى أقصى الحدود، وبلا طائل نقدم التضحيات ذاتها من الممتلكات والأرواح التي يقدمها نظراؤنا من المواطنين، بلا طائل نسعى إلى رفعة اسم البلد الذي ولدنا به في العلوم والفنون، أو لزيادة ثرواته من خلال التجارة والمعاملات التجارية. ففي البلاد التي عشنا بها لقرون، ما زلنا نُنعت بعبارة "الغرباء"، حتى من قبل هؤلاء الذين لم يكن أسلافهم قد أقاموا بعد في تلك البلاد التي طالما عانى اليهود فيها. [5]

وكان تيودور هيرتزل هو مؤسس فكرة الصهيونية الحديثة، والذي حثّ على عودة دولة إسرائيل وقيام الدولة اليهودية كما وعد بها الرّبُّ -مِن وجهة نظره- إبراهيمَ مِن النيل إلى الفرات، وتكوين قوة سياسية وعسكرية، ومركز للعبادة اليهودية من جديد كما كان أيام الملك داوود وسليمان، وكان لديه مُخطط شامل وكامل للعودة، فعلى سبيل المثال قال الآتي:

إن تأسيس دولة جديدة ليس بالأمر السخيف أو المستحيل، فقد شاهدنا خلال حياتنا أحوال الأمم التي لم تكن حتى من أعضاء الطبقة الوسطى، بل كانت أفقر من ذلك، وأقل في التعليم، وبالتالي أضعف منا. وستحرص حكومات الدول التي أصابتها البلايا بسبب معاداة السامية على مساعدتنا لنحصل على السيادة التي نسعى إليها. وسيتم تنفيذ هذه الخطة البسيطة من حيث التصميم، والمعقدة من حيث التنفيذ، من خلال وكالتين: جمعية اليهود والشركة اليهودية. وستقوم جمعية اليهود بالعمل الإعدادي في ميادين العلم والسياسية، ثم تتولى الشركة اليهودية تنفيذها بشكل عملي فيما بعد.[6]

والذي يؤكد أن الهدف مِن العودة ليس دينيًّا هو أن خطة العودة في البداية كانت تُخطط لإقامة الدولة اليهودية إما في فلسطين أم الأرجنتين، فالخطة كانت تبحث عن المكان الخصب والمناسب لقيام الدولة أكثر مِن الاهتمام بتحقيق الوعود الدينية كما يزعم أتباع الصهيونية، فهذا ما قاله هيرتزل:

هل يتعين علينا اختيار فلسطين أم الارجنتين؟ سنأخذ ما يعطى لنا، وما يختاره الرأي العام اليهودي، وستقوم الجمعية بتحديد هاتين النقطتين. فالأرجنتين واحدة من أخصب دول العالم، وتمتد لمساحة هائلة، وهي ذات كثافة سكانية ضئيلة، ومناخ معتدل. ولسوف تحصل جمهورية الأرجنتين على أرباح هائلة نظير تنازلها عن جزء من أرضها لنا. أما فلسطين فهي وطننا التاريخي الخالد في ذاكرتنا أبد الدهر، فمجرد ذكر اسم فلسطين يجذب شعبنا بقوة هائلة. [7]

فثيودور هرتزل كان يرى أن حل المُشكلة اليهودية لا تكلفه فقط سماحة وتحرر (ليبرالية) الدول التي تأوي اليهود، وإنما يجب إنشاء دولة يعيش فيها اليهود على أرض يهودية خالصة تتماشى مع هويتهم اليهودية وانفصالهم. وعلى الرغم من أن "هيرتزل" نفسه اندمج في المجتمع الأوروبي، إلا أنه رأى أن المجتمعات الأوروبية كانت غير قادرة على التسامح مع اليهود، لأنهم كانوا يشكلون أجانب، ولهم سلوكيات مُختلفة. فلقد تجنب "هيرتزل" أي حل دستوري أو أي حل يعتمد على الحقوق المدنية.[8]

---

[5] تيودور هيرتزل، **الدولة اليهودية**، ترجمة محمد فاضل (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2007)، 47، 48.

[6] **المرجع السابق**، 63، 64

[7] **المرجع السابق**، 66.

[8] مايكل بريور، **الكتاب المقدس والاستعمار**، ترجمة وفاء بجاوي، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2006)، 207، 208.

ثانيًا: الصهيونية والمسيحية

لم تقف الحركة الصهيونية عند حدود الدين اليهودي وأتباعِه، لكنها تجاوزت هذه الحدود وذهبت إلى الديانة المسيحية، ولاسيما وسط الطوائف البروتستانتية، واخترقتها عن طريق مغازلة الأصوليين منهم مِن خلال اتِّباع المنهج الحرفي في التفسير، مما جعل الكثيرين يؤكدون هذه المزاعم المسيحية، وظهر ما يُسمى بالصهيونية المسيحية.

والأمر الأشد إيلامًا، هو وجود بعض المسيحين، لا سيّما الإنجيليين المتطرِّفين، في أمريكا وأوروبا، الذين برّروا ودعموا قيام الكيان الإسرائيلي على أرض فلسطين عام 1948م، ولا يزالون يؤيِّدون الخطوات الأخيرة التي قامت بها الإدارة الأميركيَّة، تحت شعار تحقيق نبوءات العهد القديم، بإعادة إرجاع الله لشعبه إسرائيل إلى أرض كنعان، أرض الموعد، أرض فلسطين، إذ كان قد وعد بها آباءهم وأجدادهم، ابتداءً مِن إبراهيم خليل الله، ومِن ثمّ نسله بعده، وذلك مِن دون أن ينظروا إلى موضوع الأرض من منظار يسوع المسيح نفسه ورسل الكنيسة الأوائل، الذين أعادوا تفسير موضوع الأرض بشكل جديد ينسجم مع تطلُّعات العهد الجديد. فإنَّهم بتفسيراتهم هذه قد خرجوا عن الإطار الأساسي الذي وضعه آباء الكنيسة في تفسير تلك النبوءات. والمُصلحون الإنجيليون الأساسيون الذين برزوا في القرن السادس عشر والتزموا بتوجهات العهد الجديد في تفسيراتهم لموضوع نبوءات العهد القديم حول أرض الموعد.[9]

فإنَّ تبرير إقامة دولة إسرائيل على أرض فلسطين استنادًا إلى التفسيرات الحرفيَّة لنبوءات العهد القديم من الكتاب المقدَّس، قد زجَّ الكتاب المقدَّس في الصراع الإسرائيلي– الفلسطيني، بل الصراع الإسرائيلي– العربي، فتحول الكتاب المقدَّس مِن رسالة حياة إلى رسالة موت، ومِن رسالة رجاء إلى رسالة يأس، ومِن رسالة بناء للإنسان والمجتمعات إلى رسالة تدمير للإنسان والمجتمع الفلسطيني.[10]

ثالثًا: الصهيونية والأصولية

المقصود بالأصولية هُنا ليست العودة إلى أصول الدين لاستخلاص المبادئ والقيم التي يجب أن نتبناها كمتدينين. ولكن المقصود هُنا هو ذلك التيار الراديكالي الذي يستخدم الدين بطريقة خاطئة، ويغرق في الطرق

[9] سهيل سعود، **القدس في الفكر المسيحي** (لبنان: دار منهل الحياة، 2020)، 25، 26.
[10] **المرجع السابق.**

الحرفية لتفسير النصوص دون النظر لخلفيتها وأسباب نزولها. والذي يخلط النصوص ويجتزئها حتى يوظف الدين لتلك الأغراض السياسية السلبية.

فالمبدأ الانتقائي للنصوص نجده حاضرًا لدى الأصوليين اليهود في تأكيدهم على خبرتهم المطلقة لدى يهوه الذي كان قاسيًا ضد الأغيار (غير اليهود)، والتي يستعينون لإثباتها بما ورد في سفر التثنية مِن آيات تدعو إلى إبادة هؤلاء الأغيار المفتقرين لأي فضيلة. وفي الوقت نفسه يتجاهلون ما ورد في الإصحاح الثامن مِن السفر نفسه، مِن أن الله لم يختر العبرانيين إلى الأبد، بل اختارهم كما اختار الكنعانيين من قبلهم، عندما كانوا أحبارًا يخدمون الله بوازع ديني، ولكنه تخلى عنهم بسبب حبهم للشهوات، وفساد عبادتهم، ولذا فقد حذرهم موسى "وإن نسيت الرب إلهك وذهبت وراء آلهة أخرى وعبدتها وسجدت لها، أشهد عليكم اليوم أنكم تبيدون لا محالة. كالشعوب الذين يبديهم الرب من أمامكم كذلك تبيدون، لأجل أنكم لكم تسمعون لقول الرب إلهكم" (تثنية8: 19، 20). كما يتمسكون بالآيات التي تخصهم على التعامل الأخلاقي الانتقائي، بتوخي العدل والإحسان تجاه اليهود الآخرين، والتغاضي عنهما مع الأغيار، كما جاء في سفر الخروج مِن تحريض على المصريين لمجرد أنهم أغيار، بينما يتجاهل هؤلاء الدعوة إلى الإحسان وفعل الخير مع الجميع كما تؤكد العديد مِن النصوص الأخرى.[11]

والفهم الاختزالي نفسه نجده حاضرًا لدى الأصوليين المسيحيين الذين يتوسعون في الاقتباس من سفر الرؤيا ويجدون في رؤيا نهاية العالم وما تبثه من عنف إلهامًا وحافزًا للتعاطف مع اليهود، بحسب العقيدة قبل الألفية القائلة بأن عودتهم إلى أرض الميعاد، وبناء الهيكل الثالث، يُمثل بشارة لعودة المسيح، وبداية المعركة الفاصلة "هرمجدون" مع الشر. ولكنهم في المقابل، نادرًا ما يشيرون إلى الموعظة على الجبل حيث يطلب المسيح أن يحبوا أعداءهم ويباركوا لاعنيهم.[12]

فالأصوليات المختلفة تلعب أدوارًا مختلفة في حياة الدول والمجتمعات الحاضنة لها. فالأصولية اليهودية تلعب في حياة إسرائيل-الدولة التي تجسد الوجود اليهودي المعاصر سياسيًّا- دورًا إشكاليًّا مُركبًا، ينطوي على معاندة ورفض أحيانًا، كما يتجلى لدى الحرديم (اليهود الأرثوذكس)، المحاصرين في نمط حياة يشبه جيتو داخل إسرائيل العلمانية، مثلما ينطوي على دعم وتشجيع أحيانًا للدولة القائمة، وكذلك لسياستها العدوانية ضد العرب،

[11] صلاح سالم، **تفكيك العقل الأصولي** (القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب، 2018)، 351 - 353.
[12] **المرجع السابق.**

مسيحيين ومسلمين، كما يتجلى عند اليهود الصهاينة، الذين يزايدون على عنف الدولة الإسرائيلية باعتبارها دولة علمانية، فيمدون عنفها القومي بمقولات تبريرية تنبع من أساطير توراتية.[13]

أما الأصولية المسيحية، فيجسدها بالأساس ذلك التيار الإنجيلي الأمريكي، والذي يمثل حركة احتجاج ضد صيرورة الحداثة والعلمانية التي اندمج فيها التيار البروتستانتي الأساسي Churches"Main Stream ". ورغم أن الإنجيليين الأمريكيين هم أول من استعمل مصطلح "الأصولية" في العقود الأولى مِن القرن العشرين تمييزًا لأنفسهم عن البروتستانت "المتحررين" الذين كانوا -في رأيهم- يشوهون العقيدة المسيحية تشويهًا كاملًا. ولكنهم ظلوا مجرد هامش على متن الحداثة الأمريكية، وظلوا عاجزين عن إعاقة التيار الرئيسي Main Churches"Stream " عن مجرى التاريخ.[14]

رابعًا: الصهيونية والبروتستانتية

يتم تأييد الحركة الصهيونية مِن قبل بعض المذاهب والفرق والهيئات الإنجيلية في الغرب، خاصة التي نشأت في القرن التاسع عشر والتي تُسمى "المدرسة الدهرية Dispensational School" مِن خلال تفكيرها الحرفي والأصولي، والذي ظهر بأكثر قوة ووضوح في أيام حكم ريجان للولايات المتحدة الأمريكية، والتي تلاقت في نفس الوقت مع مخططات الحركة الصهيونية. هذه المخططات التي ظهرت منذ مؤتمر بازل بسويسرا عام 1897م.هذه الاتجاهات الأصولية لها روادها الأوائل في القرن 19 مثل جون نيلسون داربي (1800-1882م) مؤسس مذهب الإخوة البليموث، وهو أيرلندي الأصل.

هذه الاتجاهات الحرفية تتبناها بعض المذاهب الإنجيلية المماثلة في مصر والعالم العربي. ولكن الفرق أنهم هنا مندفعون بتفسيراتهم الحرفية وليس بدوافع سياسية. وأيًّا كانت الدوافع في الخارج أو الداخل، واستمرار ترديد هذه الأفكار في أدبيات هذه المذاهب والشيع الإنجيلية، فقد جعل بعض الكتاب والمفكرين يربطون –خطأً- بين الحركة الصهيونية والإصلاح الديني البروتستانتي الذي قام في أوروبا على موجات في القرن الخامس عشر، واكتمل في القرن السادس عشر، والذي مهَّدت له عوامل دينية وفكرية وعملية وسياسية في مناخ عصر النهضة. هذا الربط يتناقض تمامًا مع المبادئ والأسس التي قام عليها الإصلاح ونادى بها المصلحون.

---

[13] **المرجع السابق.**
[14] **المرجع السابق.**

لكن المشكلة أن الذي يكتب عن هذه المذاهب التي تنادي بهذه الأفكار، خاصة في شرقنا يصفها دائمًا وعلى وجه العموم بأنها "إنجيلية" أو "بروتستانتية" غير مميز بين هذه المذاهب الإنجيلية "Evangelical" وبين الكنيسة الإنجيلية (المشيخية Presbyterian) في الغرب وفي الشرق والتي تختلف تمامًا مع هذه الأفكار والمزاعم وتقوم بكشفها بكل الطرق، وبالرغم مِن ذلك ظهرت في بعض الأوقات ومازالت بعض الكتب والمقالات تحت عنوان "الأصولية الإنجيلية" أو "الصهيونية المسيحية" إلى آخره، والتي تترك في القارئ انطباعًا خطيرًا يقوم على التعميم غير الواعي، لأن الذين يكتبون على أدبيات ونشرات غربية تستخدم مسميات ومصطلحات لم يستطع الذين نقلوها أن يتتبعوا مدلولاتها وتاريخها بدقة، فيسقطون في شراك التعميم الخطير.[15]

ويوجد عدة طرق لتصنيف الطوائف البروتستانتية. أحد النماذج التقليدية هو أن نُميز بين ثلاث فئات كبيرة من البروتستانت: البروتستانت التقليديين (Mainline Protestants)، والإنجيليين (Evangelicals)، والأصوليين (Fundamentalists). وتشمل الكنائس البروتستانتية التقليدية: المشيخيين، والميثوديست، واللوثريين، والكنيسة المصلحة، والأسقفيين وطوائف أخرى، كانت في واجهة السياسية والثقافة الأمريكية في غالبية التاريخ الأمريكي. وإن أعضاء منهم كانوا ولا يزالون مِن الطبقات القيادية المهنية وطبقات رجال الأعمال، وهم يشددون على أهمية أن تكون القيادة الكنسية ذات ثقافة وتعليم. وقد حصل مجلس الكنائس العالمي ومجلس كنائس الشرق الأوسط على غالبية الدعم لهما من بين هذه الكنائس طوال النصف الثاني من القرن العشرين. ومن الناحية السياسية في الشرق الأوسط، فإنهم كانوا ولا يزالون بشكل خاص يدعمون الفلسطينيين والمسلمين العرب في الولايات المتحدة. ومع أن كنائسهم كانت في مركز القيادة في أمريكا لمدة 200 سنة تقريبًا، إلا أن قوتهم وأعدادهم قد انخفضت في السنوات الأخيرة لصالح مجموعة أخرى من الكنائس البروتستانتية تُدعَى "الإنجيلية Evangelical".

إن كلمة "إنجيليين Evangelicals" في الولايات المتحدة لها معنى فريد. فهي تُشير إلى الطوائف التي تتصف بشعور قوي من العاطفة والحماسة الدينية، وبالتزام قوي بالكرازة بالنسبة إلى المجموعات الأخرى، التي هي مجموعات مسيحية أيضًا، أو اقتناصها، وأبدت هذه الطوائف ميلًا إلى انتقاد الكنائس التقليدية، حيث تبنت طرقًا حديثة للتفكير، فقد انتقد الإنجيليون بشدة مجلس الكنائس العالمي والمجلس الوطني للكنائس في

[15] مكرم نجيب، **قراءة عربية للمجيء الثاني للمسيح** (القاهرة: دار الثقافة، ط2، 2017)، 13-16.

الولايات المتحدة، وفي السنوات الأخيرة أصبح الإنجيليون أكثر اعتدالًا بالنسبة إلى اللغة التي يستخدمونها، ربما يكون هذا إدراكًا منهم لقوتهم ومسؤوليتهم المتناميتين.[16]

ومن الواضح أن الأصوليين أبدوا حماسة ورغبة لنشر المسيحية لدرجة أنهم هجوميون (أو عدائيون) في عملهم هذا. وفي هذا الإطار وبشكل خاص انتقدوا كل المسيحين الأمريكيين الآخرين: البروتستانت والروم الكاثوليك، والأرثوذكس، ذلك لأنهم أبدوا رغبة قوية للمساومة على حد قولهم مع العالم الحديث بتبني الحوار المسيحي الإسلامي واليهودي. لذا علينا أن ندرك أن الأصولية الأمريكية تُمثل ثقافة شعبية أمريكية متجذرة تجمع اتجاهات وآراء تاريخية عدة، لأنها انغرست بقوة وأثرت في نفوس الشعب الأمريكي على المدى الطويل وشكلت نظرته لذته والعالم.[17]

مسيحيو الشرق بين الوطن والمقدّس

والحقيقة أن هذه العقيدة (الصهيونية المسيحية) أثرت في وجدان من يؤمنون بها من الوطن العربي بصورة أوقعتهم، في مآزق فكرية وأخلاقية عدة، ففي إحدى الحوارات مع طيار مسيحي يؤمن بهذه العقيدة، صرح بأنه ممزق داخليًّا، لأنه إذا صدر له أمر بضرب إسرائيل فسوف ينفذ الأمر ويحارب لأجل بلاده فهو وطني يحب بلده، في نفس الوقت الذي يعتقد أن إسرائيل لابد وأن تنتصر في نهاية الأمر، فكيف يكون أمينًا نحو عقيدته، وأي تمزق يعيشه؟ هل يتمنى انتصار إسرائيل التي قتلت أخاه وصديقه وكانت سببًا مباشرًا في أزمته الاقتصادية والاجتماعية وسببًا في انهيار الكثير من القيم الإنسانية والأخلاقية داخل مجتمعه وتدهور المرافق العامة والخدمات بصورة لم يسبق لها مثيل، أو يكره إسرائيل كإنسان وطني محب لبلده ويكون بهذا الموقف ضد خطة الله من نحو العالم حسب تصوره.[18]

فالأمر الذي يجب أن يكون جليًا، أن ليست كُل المسيحية تؤيد الصهيونية، وليست كُل البروتستانتية تؤيد الصهيونية، فهناك الكثير من الطوائف المسيحية البروتستانتية القائمة على مبادئ الإصلاح الإنجيلي، ترفض وبشدة كل التفسيرات الحرفية، والتيارات الأصولية، التي تدعم هذا الاختراق الصهيوني المُعادي للإنسانية. ومِن بينهم الكنيسة الإنجيلية المشيخية في مِصر والوطن العربي أيضًا، التي تؤكد حق الشعب الفلسطيني في الأرض والحياة، وترفض بشدة أعمال القتل والعنف التي يرتكبها الصهاينة باسم الدين.

---

[16] إكرام لمعي، **الاختراق الصهيوني للمسيحية** (القاهرة: دار الشروق، ط3، 2017)، 22-24.

[17] **المرجع السابق.**

[18] إكرام لمعي، **هل من علاقة بين عودة اليهود ومجيء المسيح الثاني** (القاهرة: دار الثقافة، 1990)، 4-5.

خامسًا: ضبط العلاقة بين المُطلق والنسبي

تزاوج النسبي بالمُطلق

ما فعلته الصهيونية سواء اليهودية أو المسيحية مِن تزاوج واختلاط للنسبي بالمُطلق، هو أمر خطير. فتتميز اليهودية بما يُمكن تسميته "بالمُطلق الذاتي" فالمُطلق بطبيعته شامل وعالمي يتخطى الزمان والمكان، ولكن مطلقات اليهود مقصورة عليهم وحدهم. ويظهر هذا في التصوير اليهودي للخالق، فهو إله واحد ولكنه مقصور على اليهود دون سواهم يحل في ممتلكاتهم القومية. ويتركز الغرض الإلهي في الشعب الواحد المُختار الذي اختير من بين جميع الشعوب ليكون محط عطف الإله الخاص، بل إن كل مجرى الطبيعة وتاريخ البشر يدور بإرادة "يهوه" حول حياة ومصير اليهود. والصهيونية هي الترجمة العملية لهذا "المُطلق الذاتي".[19]

وقد نتج عن هذا التصور أن اليهود أصبحوا أمة مقدسة، وتم صبغة الكتب والطقوس الدينية اليهودية بطابع "قومي" عميق، حتى أننا يمكننا القول بأن المقدس في اليهودية هو القومي والقومي هو المقدس، أو بعبارة أخرى أن المُطلق يتداخل مع النسبي تداخلًا كاملًا. ففكرة الأمة المقدسة هي إحدى أسس الفكر الصهيوني، مما يبرز تداخلًا بين النسبي والمُطلق.[20]

ونتج أيضًا عن هذا التداخل الكامل بين النسبي والمُطلق إنكار عنصر الزمان وتأكيد عنصر المكان. فاليهود يعتقدون أن السُّكنى في أرض فلسطين بمثابة الإيمان لأن مَن يعيش داخل أرض إسرائيل يمكن اعتباره مؤمنًا، أما المقيم خارجها إنسان لا إله له. بل أن فكرة الأرض تتخطى فكرة الثواب والعقاب الأخلاقية فمن يعيش خارج أرض الميعاد فهو كمن يعبد الأصنام. وهذا الارتباط يُبرز التزاوج بين المُطلق "الدين" والنسبي "المكان".[21]

العقيدة والانتماء القومي

يرى بعض المسيحيين أيضًا أنه يجب ألا نرتبط بمنطقة سياسية جغرافية تُسمى الوطن (الدولة) ولكن بالعالم ككل فمواطنتنا كما يصفها الكتاب المقدَّس هي في السماء، حيث توجد المبادئ الأساسية لهويتنا، وليس في وطن محدود وجدنا أنفسنا مولودين فيه. فمنذ مجيء السيد المسيح على الأرض، وشعب الله لا ينتمي إلى جماعة إثنية محددة أو وطن معين، لكن العالم ككل هو شركة مؤمنين وهو يشمل أشخاصًا من جنسيات متعددة

---

[19] عبد الوهّاب المسيري، **اليهودية والصهيونية وإسرائيل** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1975)، 9- 11.
[20] **المرجع السابق**.
[21] **المرجع السابق**.

وخلفيات إثنية متنوعة. وهكذا يتجه هذا التيار المسيحي الرافض للمواطنة إلى اعتبار الوطن الأرضي وطنًا مؤقتًا وأن الهدف الأساسي من الوجود هو الانتماء للوطن السماوي. وهنا يؤكد أحد اللاهوتيين المؤيدين لهذا الاتجاه بأن المسيحيين يؤمنون بأن موطنهم في السماء وليست هنا على الأرض، وذلك حسب ما يعلمنا الكتاب المقدَّس، فنحن أُمِرنا بطاعة حكامنا الأرضيين ولكنَّ ولاءنا في مكان آخر.[22]

ولكننا نؤكد على أن موقف السيد المسيح مِن عالمية رسالته ارتبط بالإنسان على أساس الفصل بين نظام الحكم المؤسس على القومية والمواطنة والإيمان وهو يمثل علاقة شخصية مع الله. إن خلط الدين بالسياسية يؤدي إلى صراع حاد بين الانتماء القومي والإيمان، لهذا فإن فصل الدين عن السياسية بمعنى النظام السياسي المرتبط بحدود جغرافية وانتماء قومي وتعددية دينية هو نظام متطور ويخضع للتغيرات الداخلية والدولية. إن دور الدين هو تقديم المنظومة الأخلاقية التي تستطيع أن تشمل ضمير الأمة التي تحكم على صلاحية النظم السياسية من عدمه. هنا تكون العلاقة بين العقيدة والانتماء القومي. [23]

العلاقة الصحيحة بين الدين والدولة

فالدولة الرشيدة هي صمام أمان للتدين الرشيد، والعلاقة بين الدين والدولة ليست علاقة عداء ولن تكون، إن تدينًا رشيدًا صحيحًا واعيًا وسطيًّا يسهم وبقوة في بناء واستقرار دولة عصرية ديمقراطية حديثة تقوم على أسُس وطنية راسخة وكاملة، وإن دولة رشيدة لا يمكن أن تصطدم بالفطرة الإنسانية التي تبحث عن الإيمان الرشيد الصحيح، على أننا ينبغي أن نفرّق بين التدين والتطرف، فالتدين الرشيد يدفع صاحبه إلى التسامح، إلى الرحمة، إلى الصدق، إلى مكارم الأخلاق، وإلى التعايش السلمي مع الذات والآخر، وهو ما ندعمه جميعًا، أما التطرف والإرهاب الذي يدعو إلى الفساد والإفساد، والتخريب والدمار، والهدم واستباحة الدماء والأموال، فهو الداء العضال الذي يجب أن نقاومه جميعًا وأن نقف له بالمرصاد، وأن نعمل بكل ما أوتينا من قوة للقضاء عليه حتى نجتثه من جذوره. [24]

وفي هذه المعادلة الصعبة يجب أن نفرق بين الدين الذي هو حق، والفكر الإرهابي المنحرف الذي هو باطل، موقنين أن الصراع بين الحق والباطل قائم ومستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وعلى أن النصر للحق طال الزمن أو قصر. إننا لأصحاب قضية عادلة، قضية دين، وقضية وطن، فكل ما يدعو للبناء

---

[22] أندريه ذكي، **التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس، مقال: العقيدة والانتماء القومي** (القاهرة: دار الثقافة، 2018)، 889- 891.

[23] **المرجع السابق.**

[24] محمد مختار جمعة، **فقه الدولة وفقه الجماعة** (القاهرة: وزارة الأوقاف، 2019)، 89-100.

والتعمير، والعمل والإنتاج، وسعادة الناس وتحقيق أمنهم واستقرارهم، لهو الدين الحق والإنسانية الحقيقية، وكل ما يدعو للفساد والإفساد، والتخريب والقتل، يدعو إلى ما يخالف الأديان وسائر القيم النبيلة والفطرة الإنسانية القويمة. [25]

فنحن كشعب متدين وأمة تؤمن بالله، مِن الصعب أن نقبل أي نموذج يُنحي الدين جانبًا، وفي نفس الوقت لا نقبل أن نُدخل الدين في الأمور السياسية المُتغيرة دائمًا. فإن الحل للمشكلة السياسية القائمة لا يَكْمن في الدولة الدينية ولا العلمانية، ولكن الدولة القائمة على الديمقراطية مع الدين كمصدر لقيم هذه الدولة، هذا المفهوم جوهري لصياغة الدولة في الشرق الأوسط. وهنا لا غنى عن فكرة أن الدين يقدم إطارًا أخلاقيًّا بدلًا من أن يفرض نظمًا اجتماعية واقتصادية وسياسية. ويتضح جليًّا أن كل الأنظمة هي إبداعات بشرية وليس فيها نظام كامل بلا نقائص. ومِن ثم فإن الدين ينبغي أن يُستخدم لإبراز النقائص والزلات في كل الأنظمة، وكذلك تجميعها وتوحيدها فيما يتعلق بالعدالة والرخاء والحرية والمساواة. ومما لا شك فيه، تمثّل علاقة الدين بالدولة في العالم العربي بعدًا أساسيًّا في الحياة السياسية، وفي إطار ما يوصف بالربيع العربي تتكون الآن علاقة جديدة بين الدين والسياسة، هذه العلاقة هي أن الدين يقدم الإطار الأخلاقي للنظم السياسية، حيث إن النظم السياسية يجب أن تكون بشرية يساهم الدين فيها كأحد مكوناتها. [26]

الخاتمة

وأخيرًا، وبعد أن استعرض الباحث نشأة الصهيونية العالمية، ثمّ نشأة الصهيونية المسيحية، وبعد ذلك ربطَّ الصهيونية بالأصولية الدينية كأساس ومنهج لها، ووضّحَ علاقة الصهيونية بالكنيسة الإنجيلية والمذاهب المختلفة بها، وأكد على وطنية وعروبة الكنيسة الإنجيلية المشيخية بِمصر.

أراد أن يضع مفهومًا منضبطًا لعلاقة المُطلق بالنسبي مِن خلال توضيح خطورة تزاوج النسبي بالمُطلق، وأهمية التمسك بالعقيدة مع الانتماء القومي في آن واحد، وكيف تكون العلاقة الصحيحة بين الدين بالدولة، العلاقة التي نرجوها في مجتمعنا وبلادنا العربية.

دون أن يتجاهل حساسية العلاقة بين المُطلق والنسبي، ولاسيما في بيئتنا الشرق أوسطية، حيث إن المُطلق مرتبطٌ بالدين المقدّس، والنسبي مرتبط بالسياسة الدنيوية، مما يجعل الأمر هامًّا جدًّا في ضبط العلاقة

---

[25] **المرجع السابق.**

[26] أندريه ذكي، **التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس، مقال: الدين والدولة** (القاهرة: دار الثقافة، 2018)، 2136- 2137.

بينهما. وهذا ما فشلت فيه الحركة الصهيونية العالمية، وتيار الصهيونية المسيحية، وحتى تيارات الإسلام السياسي، وجعل الكثيرين يتشككون في الدين بسبب هذه التيارات.

وفي النهاية، يدعو الباحث مِن الله أن تكون هذه الورقة -ولو قصيرة- سببًا في تطوير المفهوم الفلسفي في علاقة المُطلق بالنسبي، وفي المفهوم الديني في علاقة الدين بالدولة، وتعمل على ضبط العلاقة بين المقدّس والدنيوي، وتُظهر طبيعة كلٍّ مِن الثابت والمُتغير، وتبين حدود المحدود بالنسبة للامحدود. وذلك حتى تنهض ثقافتنا وتقوم أمتنا وتلحق مجتمعنا، وبلادنا العربية، ركاب التنوير والتقدم والتنمية.

المراجع

المراجع العربية

المسيري، عبد الوهّاب. **اليهودية والصهيونية وإسرائيل**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1975.

بريور، مايكل. **الكتاب المقدس والاستعمار**، ترجمة وفاء بجاوي. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2006.

ذكي، أندريه. **التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس، مقال: الدين والدولة.** القاهرة: دار الثقافة، 2018.

_____، **التفسير العربي المعاصر للكتاب المقدس، مقال: العقيدة والانتماء القومي.** القاهرة: دار الثقافة، 2018.

سالم، صلاح. **تفكيك العقل الأصولي.** القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب، 2018.

سعود، سهيل. **القدس في الفكر المسيحي.** لبنان: دار منهل الحياة، 2020.

لمعي، إكرام. **هل من علاقة بين عودة اليهود ومجيء المسيح الثاني.** القاهرة: دار الثقافة، 1990.

_____. **الاختراق الصهيوني للمسيحية.** القاهرة: دار الشروق، ط3، 2017.

محمود العقاد، عباس. **الصهيونية العالمية.** الجيزة: دار نهضة مصر، 2017.

مختار جمعة، محمد. **فقه الدولة وفقه الجماعة** القاهرة: وزارة الأوقاف، 2019.

نجيب، مكرم. **قراءة عربية للمجيء الثاني للمسيح.** القاهرة: دار الثقافة، ط2، 2017.

هيرتزل، تيودور. **الدولة اليهودية**، ترجمة محمد فاضل. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2007.

المراجع الإلكترونية

سعد زايد، أحمد. **محاضرة جدل العلاقة بين المطلق والنسبي**، تمّ الاطلاع عليه يوم 27 أكتوبر 2020م، مُتاح على: http://youtu.be/-owHQTFaNEw.